معرض

مسيرة الضادّ وبثّها المباشر

حدود لغتي حدود عالمي

أعمالٌ لعشرة فنّانين ومصمّمين تتقاسم فكرة المعرض المُقام في الدوحة، لتعكس حضور العربية بما هي ميراث تاريخي وإمكانات مُعاصرة

الدوحة ـ **محمد هديب**

كان من المقرَّر أن يضمّ معرض «حدود لغتي حدود عالمي»، الذي افتتحه «متحف مجلس الإعلام» في «جامعة نورثويسترن» بالدوحة مساء الثلاثاء الماضي، وسائط متعدّدة، في أغلبها رقمية، تقرأ التحوّلات والتحدّيات التي تواجهها اللغة العربية، غير أنّ الفكرة اتّسعت لتجمع بين فنون الخطّ والتشكيل الحروفي، والفيلم الوثائقي، والصور الفوتوغرافية، والقطع الأثرية والطبعات القديمة من الكتب والمطبوعات الإعلامية وعروض الشاشات. هذه الخلطة وفّرت للمُشاهد أربع شرفات مثّلت مسارها عبر التاريخ إلى بثّها المباشر عبر فعاليات لغوية يمارسها العربي والأجنبي. وحملت كلُّ شرفة سؤالاً، فكانت كالآتي: هل هناك دائماً جانب آخر؟ هل هي لغة قوية ومؤثّرة؟ هل تمثيل وسائل الإعلام مهمّ؟ هل العربية لغة المستقبل؟

وفي المعرض، الذي أشرفت على تنظيمه المنتجة الثقافية آمال زياد علي، ويستمرّ حتى الخامس من ديسمبر/ كانون الأول المقبل مشاركون من بلدان عربية وأجنبية قدّموا إسهامات مُعاصرة في المجالات الحيوية التي شكّلت اللغةُ العربيةُ رافعةً لها، إضافةً إلى الرؤية الشاملة التي تُقدّم هذه اللغة في عمقها التاريخي البعيد؛ حيث تظهر الكتابة العربية من الصين حتى أوروبا إلى أفريقيا في ما كان يُعرف بالعالم القديم، وهو ظهور مركزي وحضاري وقبل كلّ ذلك تبادلي. ومع الطباعة التي تأخّر وصولها تحت السلطة العثمانية، نُعاين في المعرض كتاب ابن سينا «القانون في الطب»، وهو نسخة أوروبية نادرة مطبوعة عام 1593 وقد استعيرت من «متحف لوسيل»، وكذلك نسخة من الكتّاب المقدس باللغة العربية مطبوعة في روما عام 1591.

وإلى جانب هذا، هناك إصدارات مختارة من كتب حديثة ومطبوعات صحافية، خصوصاً منها التي تُعبّر عناوينُها عن منعطفات تاريخية سياسياً في منذ مطلع القرن العشرين، وعلامات ثقافية وفنّية.

وإذ تقاسمت الشاشات الرقمية والمنتجات المادية والفنّية فكرة المعرض، فإنما لتكونَ الرحلة مع غناها الجمالي مستهدِفةً التركيز على حضور هذه اللغة بما هي ميراث تاريخي وإمكانات معاصرة أمام ما يستجدّ يومياً في عالم الرقمنة والإعلام الجديد والتعليم. هذا الميراث ينبغي أن يبدأ بالسجّادة المخطوط عليها «كان يا ما كان»؛ وهي من إنجاز الثنائي الغرافيكي مرقص كي المقيم في بروكلين، والعبارة العتبة المشهورة دائماً لم تتحوّل إلى فعل ماضٍ، بل تشير إلى لغة حاضرة ومستقبلية تبدأ سردها كلّ يوم بـ«كان يا ما كان». في هذا السياق، قال ألفريدو كراميروتي، مدير «متحف مجلس الإعلام»: «حدود لغتي حدود عالمي هو أكثر من مجرّد معرض، إنّه بيان قوي يوضّح الأهمية الحاسمة للغة العربية في السرد العالمي». والسرد، كما يتبنّى القائمون على المعرض، يقوم باستكشاف تأثير اللغة العربية بوصفها لغة قوية، شكّلت السياسة والدين والعلم والثقافة على مستوى العالم.

والعديد من شاشات أحد الأجنحة تكفّلت بتتبّع رحلة الكلمات من العربية إلى اللغات الأُخرى، من خلال ما يُعرف بالاقتراض اللغوي. ووصف هذه المسيرة بالرحلة يطابق المعنى الحَرفي لجهود الرحالة في الجغرافيا، إذ بإمكان اقتفاء أيّ كلمة من الجهات الأربع للأرض لنعرف أثرها وأيّ فصل من التاريخ تفتحه، فتعطي وتأخذ وتحوّر اللفظ، حتى إنّ كلمات نشأت قبل الحضارة وصارت مشاعاً لغوياً، وكلمات نشأت في مركز حضاري وانتشرت في بقاع أُخرى وصارت جزءاً من بنيتها الثقافية.

«الحقيقة البيّنة» لحسين الأزعط (من المعرض)

لغةٌ شكّلت السياسة والدين والعلم والثقافة على مستوى العالم

أعمالٌ بهوى تجريبي يبتعد عن العرض التقليدي للخطّ العربي

واحدٌ من العروض بعنوان «لغة الشعراء» للشاعرة والمؤدّية دانا الدجاني، يتتبّع تاريخ اللغة العربية بدءاً من أصولها السامية إلى مكانتها المقدّسة بصفتها لغة القرآن الكريم، ووصولاً إلى العصر الذهبي الإسلامي وما بعده. في عام 2009 انعقد مؤتمر في الدوحة بعنوان «أنا لغتي» وتلاه بعد أعوام عديدة آخر بعنوان «سجِّل أنا عربي». وفي معرض «حدود لغتي حدود لغتي» استُعيدت مرّةً أُخرى عبارة «أنا لغتي» من قصيدة «قافية من أجل المعلّقات»، تظهر فيها القصيدة في الشاشة طولياً كأنّها معلّقة رقمية. أمّا الفنّانون والمصمّمون، وعددهم عشرة، فقد أكّدت أعمالهم هواها التجريبي المبتعد عن العرض التقليدي للخط العربي، والمتناغم مع حيوية تغلب عليها المطبعة والأوعية الإعلامية المُعاصرة.

ثلاثة أعمال تركيبية أوّلها لكريم جباري بعنوان «لغة الزمن» يهدف إلى نقل بعض جمال اللغة العربية والانغماس في محيط من الشعر والخطّ عبر قصيدة مكتوبة على شلّال من الورق يَسقط من السقف بما يُذكّر بالمعلقات. وصُمّم العمل مثل الساعة وأُعدّ لتوجيه المُشاهد بشكل طبيعي لاستكشافه عكس اتجاه عقارب الساعة. «أنفاس الحوار» لحلا عامر تركيبٌ قابل للنفخ يُلخّص موضوع التطوّر اللغوي وعلاقته بالتبادل الثقافي. من خلال تسليط الضوء على التحوّل الاشتقاقي لكلمة برتقال/ أورانج من «النارنج» المرّ إلى «البرتقال» الحلو، يعكس السرد البصري رحلة البرتقال التاريخية من الشرق إلى الغرب والعودة مرّةً أُخرى. و«سطور» زينب السباع تركيبٌ يبني عالماً من الكلمات، في محاولة لقول ما لا يستطيع الآخرون سماعه. ومع ذلك، فهي تستمع إلى صوتها أكثر ممّا تسعى لأن تُسمع صوتها للآخرين. تركيب «سطور» هو عبارة عن نصّ حُرّ يعكس معاناة النفس وخيبة الأمل، وحالة الصمت المفاجئة والكلام الذي لا طائل منه، وعبثية الكتابة.

النص الكامل على الموقع الالكتروني

عشر رؤى

الفنّانون المشاركون في المعرض هُم: كريم الجباري فنّان الخطّ والإضاءة التونسي، والسعودي يوسف الأحمد، ومن البحرين لطيفة علي فنّانة تصميم ثلاثي الأبعاد، وفنّانة التصميم التكنولوجي الأردنية حلا عامر، والخطّاط السوري حسين الأزعط، والفنّانة البحرينية زينب السباع، والفنّان البريطاني سيمون مورتيمر، والثنائي الغرافيكي مرقص كي (اللوحة)، ومن السعودية لجين أبو الفرج مؤسّسة مشروع «تكوين» لتعلّم الحروف العربية.

صوت جديد

مصطلح «الجيل الضائع» يصف مرحلتنا

رأفت حكمت

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح الجيل العربي الجديد من الكتّاب

استوكهولم ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلكَ هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوانِ إبادةٍ على غزّة؟

لا أعتقد أنّه في مثل هذه المجازر التي تحدث على مرأى من العالم كله، سيكون هناك هاجس أكبر من التفكير المستمر في مصير الأطفال في غزة، ولا أقصد على وجه التحديد مصير من يتم قتلهم وإبادتهم بالطّريقة الممنهجة والعشوائية في الوقت ذاته، بل أيضاً ذلك الذعر النفسي الّذي ستتركه تلك المجازر في ذاكرة النّاجين منهم. أفكر طوال الوقت في العجز التام عن فعل شيء ربما من الممكن أن يصنع فارقاً في المعادلة. أفكر في التخاذل العربي الواضح والصّريح، أفكر أيضاً في المأساة المشتركة الّتي نقف أمامها مكتوفي الأيدي. في عالم يتّجه نحو تحقيق مصالح شخصية بحتة، مالية ومادّية، ضارباً عُرض الحائط كل مبادئ الإنسانية والأخلاقية. أفكر في كلِّ شيء مزيّف، كشفته الإبادة في غزة على حقيقته.

رأفت حكمت

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

لا أعتدّ كثيراً بالمصطلحات والمفاهيم لتسمية الأشياء عامة، والكتابة خاصة، لأنني أؤمن تماماً، أنَّ الكتابة على وجه التحديد هي بذاتها فعل تجديد مستمر. فهي قبل عشرين عاماً عند من عايشوها كانت جديدة، وأما عند الذين كانوا قبلهم فكانت كذلك، كما هي في الوقت الحاضر لجيلنا. لكن إن أردتُ التحدث عنها في إطار زمننا الحاضر، فإنني أفهم منها بدقة، نزعتها الواضحة لجهة التحرّر من القيود بكل أنواعها وفي جميع حقولها. وذلك مرتبط بكل تأكيد بالأدوات الّتي أصبحت في متناول الجميع، ونزعة كل من يمتلك لغة قادرة على التعبير، نحو الكتابة من دون قيد أو شرط، بغضِّ النظر عن إيجابية هذا الأمر أو سلبيّته.

■ هل تشعر بأنك جزء من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

بالتأكيد أنا كذلك، أما أن أقوم بتحديد ملامحه فذلك هو الأمر المعقد نوعاً ما. عملية كهذه، تحتاج إلى الكثير من التأني، لرسم الخطوط الخارجية لشكل هذا الجيل وملامحه، وإذا سمح لي بعض الأصدقاء والكتاب أن أستخدم هنا مصطلح «الجيل الضائع»، والّذي يعملون على تصديره وتفنيده بتفصيل.

■ كيف هي علاقتكَ مع الأجيال السابقة؟

أعتبر علاقتي بهم علاقة خجولة وغير متفحّصة كما يجب. تربطني بهم تلكَ الكتب التي وصلتني منهم، وأعرفُ عن مراحلها من كلّ ما كتبوه عنها. أحاول في أيّ فرصة متاحة، الاقتراب من جميع الأجيال سواء السابقة أو اللاحقة، لربّما تكون الصورة العامة أوضح. لكن لطالما تظهر أمور عديدة تمنع هذا الاحتكاك المباشر وتبادل التجارب والخبرات، كالمسافات وتشتت العالم وميل الأغلبية إلى العزلة والاكتفاء بالعلاقات المبينة عبر السوشيال ميديا ومواقع التواصل الاجتماعي.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

إذا أردت التحدث بصفتي سورياً، فإنني منذ البداية سأكون في متاهة فكرة الانتماء، فلقد توزعت سنيني الخمس عشرة الأخيرة بين سورية، ولبنان ومن ثمّ السويد. وهذا الأمر في الحقيقة، زجني في عدة تجارب تتعلق بموضوع البيئة الثقافية المحيطة. في سورية يقتصر الأمر على التعارف من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وفي لبنان كانت مبنية بشكل وثيق مع من يشبهونني في الحالة العامة سواء كانوا سوريين مغتربين أم لبنانين يحاولون حماية ما يمكن حمايته من البيئة الثقافية كي لا تنهار مع مجمل ما ينهار. أما في السويد، فالأمور في حاجة إلى سنوات ليتمكّن المثقف المهاجر من فهم نفسه في بيئة كل ما فيها مختلف تماماً عمّا اعتاد عليه في بلده، بدءاً من فكرة تقدير المثقف وصولاً إلى فكرة احترام الحريّة في الكتابة.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

تأخرتُ قليلاً في إصدار أول كتاب لي وكان ذلك في عام 2021 من خلال حصولي على جائزة الشارقة في مجال القصة القصيرة عن مخطوط مجموعتي القصصية الأولى بعنوان «كأنني كنتُ أحلم» إذ كان عمري وقتها 31 عاماً. يمكنني أن أُرجع سبب التأخّر في النشر إلى شعوري الدائم بأنني سأندم لاحقاً على أمر لا أعرفه، لكنّني تمكنتُ من تجاوز هذا الشعور بعد الكتاب الأول، إذ أصدرت بعده مجموعة شعرية تحت عنوان «خوفاً من الصّيّاد» ومجموعة قصصية ثانية تحت عنوان « «متأخراً عن العالم مسافة عشر دقائق».

بطاقة

كاتب وقاص سوري من مواليد 1980. يقيم في العاصمة السويديّة استوكهولم، ضمن منحة ثقافية بصفة «كاتب ضيف في المدينة». صدرت له مجموعتان قصصيتان: «كأنّني كنت أحلم» (جائزة الشارقة للإبداع العربي، 2021). «متأخراً عن العالم مسافة عشر دقائق» (دار النهضة العربية، بيروت 2023)، ومجموعة شعريّة بعنوان «خوفاً من الصّيّاد» (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2022)

كتاب

الطبيعة في نظر خمسة عشر كاتباً

هي في كل شيء

يجمع الناقد التشيلي نصوصاً نثرية وشعرية من مختلف العصور، ولا سيّما أولئك الذين يغرسون جذورهم في الأرض لتقديم ووصف علاقتهم بالطبيعة

جعفر العلوني

يجمع الناقد التشيلي فيليبي رييس Felipe Reyes في كتاب «هي في كلّ شيء: أغانٍ من أجل الطبيعة»، الصادر حديثاً عن دار Alquimia Ediciones في تشيلي، نصوصاً نثرية وشعرية لمؤلّفين من مختلف العصور وخطوط الطول والعرض؛ ولا سيّما أولئك الذين يغرسون جذورهم في الأرض لتقديم علاقتهم بالطبيعة ووصفها. كل صفحة من صفحات الكتاب هي دعوة للتواصل مع الطبيعة الحاضرة دائماً، والتي تحدّد حياتنا في كل شيء، حتى لو لم ندرك ذلك.

الأشجار والورود والأنهار والطيور والجبال؛ الفصول ما بقي منها وما يعيش تحت تهديد تغيّر المناخ، جميعها ستكون نقطة بداية خمسة عشر كاتباً وكاتبة، شاعراً وشاعرةً، للتوقّف والتأمل والكتابة، بدءاً من الشاعر الألماني يوهان غوته والشاعرة والكاتبة الأميركية إدنا سانت فنسنت ميلاي، والشاعرة التشيلية غابرييلا ميسترال، وانتهاءً بالإنكليزي جون راسكن، والأميركيين رالف إمرسون وإيميلي ديكنسون، وما بينهما من كتّاب وشعراء من الأرجنتين واليابان وتشيلي وبريطانيا والولايات المتحدة ونيوزيلاندا وروسيا، هم: روبرتو أرلت، وألفونسينا ستورني، وسي شوناغون، ولويس أويارزون، وبيدرو برادو، وماري أوستن، وسوزان كوبر، كاثرين مانسفيلد، ومارينا تسفيتايفا.

معيار اختيار النصوص، وفقاً لجامعها، هي «تلك الكلمات التي تسمح لنا بالقيام برحلة، ليس في الزمن فحسب، بل في التجربة الثقافية والشخصيّة التي ربطت كلّ مؤلف بالطبيعة وجعلته يكتب عنها أو يشير إليها أو يعيشها. وهي بذلك نصوص لا تخضع لترتيب زمني معين، إنها نصوص تقول الطبيعة في زمن صار فيه كل شيء غير طبيعي».

هي، إذن، مجموعة من الأساليب ووجهات النظر لمقاربة الطبيعة وتأمّلها، كما أنّها في الوقت نفسه، دعوةٌ لأهمية التواصل مع البيئة التي تحدّد حياتنا، ومع المناخ والتغيرات التي تحصل عليها بسبب الصناعة؛ ومع الطبيعة التي تتحرك من حولنا دائماً، والتي تم سردها والتعبير عنها بطرق مختلفة إلى درجة أنها صارت نوعاً أدبياً في حدّ ذاته. يُقسم الكتاب إلى فصول تبعاً للموضوع الذي يُكتب عنه. ففي فصل «الأشجار»، نقرأ ما كتبته ميسترال؛ أوّل شاعرة تشيلية حصلت على «نوبل للأدب»، عن شجر الحور، حيث وصفته بأنّه تارةً «رفيق السفر والتجوال»، وتارةً بـ«امرأة تهمس مهرولةً إلى جانب الموتى». وفي فصل «الماء»، نقرأ مع الكاتب الأرجنتيني روبرتو أرلت نصوصاً مختصرة، لكنها تجعلنا نفكر بأهمية الماء. إنها نصوص حول الجفاف، حيث «محادثات ركاب الحافلة التي تعبر البلاد نحو الشمال، ومناظر الأراضي الجافة التي نراها من النافذة تجعلنا نفكر بكلمة واحدة لا غير: الماء».

أما فصل «الطبيعة»، وهو الأشمل والأكبر، فيتناول نصوصاً تنوعت موضوعاتها وأساليبها. فالطبيعة هي «الكتاب المفتوح المفهوم وغير المفهوم في الآن ذاته، وهي اللغز الأبديّ الموجود أمامنا، والرمز الأبديّ للحركة، ولبلوغ الكمال، وللكشف عن الذات»، كما يقول غوته. وهي «النحل الطنان؛ ما نسمعه وما نغنيه: الطيور. هي ما نراه ونستشعره: غروب الشمس. وهي قبل هذا كلّه ما يقود الإنسان إلى الخطوة الأولى من المعرفة، الشك: وردة ننظر إليها من طريق الصدفة!» كما تقول الشاعرة الأميركية إميلي ديكنسون.

يدعو كتاب الناقد التشيلي إلى العودة إلى الأم الحقيقية للأشياء كلّها، الطبيعة، ولا سيما في هذا الزمن المتسارع والمرتبك الذي نعيشه، الزمن الذي تحوّل فيه الإنسان نفسه إلى آلة معدنية. إنه كتاب يعيدنا إلى الجذر الأخضر الأول الذي يربطنا بالأرض، أي الطبيعة، ذلك التاريخ الذي يولد وينمو ويشيخ ويتحول ويموت ويحيا من جديد. وهو بذلك دعوة الإنسان إلى الشعور بذاته: إلى التنفس والنظر والسمع والذوق واللمس.

غوته في كامبانيا الرومانية للفنان يوهان إتش دبليو تيشباين، زيت على قماش 164× 206 سم (Getty)

غابرييلا ميسترال (إلى اليمين) مع مترجمتها الأميركية دوريس دانا عام 1945

إطلالة

النحت من وراء اللوحة

عباس بيضون

«منتدى السفير» هو ما انتهت إليه جريدة «السفير» بعد احتجابها. إنّه قاعة في أسفل مبناها، تستقبل روّاداً وندوات ومعارض. معرض عمران يونس، الفنّان السوري، واحد من فعاليات المنتدى، التي تواترت بعد فترة من احتجاب الجريدة، وفي حياة مؤسّسها طلال سلمان.

عمران يونس، المولود عام 1971، تتقاطع تجربته مع الحرب الأهلية. كان لا بدّ أن تعكس لوحتُه رؤيته ومعايشته لهذه الحرب. ذلك وحده يُفسّر مغامرته التشكيلية، التي تجمع بين أساليب عدّة، تطغى عليها قسوة وعنف وتوحُّش وموضوعات تتواتر فيها صور الجثث والدماء والبربرية، أي إنّ مرجع هذه اللوحة هو الحرب بالدرجة الأُولى، وانطلاقاً منها تتوالى الأساليب والفضاءات.

هكذا يمكننا العودة إلى تعبيرية عاصفة تتجاور مع سردية ضارية، لتصل كما هو الحال في معرض «السفير» إلى تجريد لا يزال يحمل الدراماتيكية التي وسمت نتاج يونس، ولا تزال فيها بصماته واستشرافه ونزوعه الداخلي. أي إنّ هذا التجريد لا يتقاطع مع إرث التجريد كما وصل إلينا.

أوّل ملامح هذا التجريد، بعده عن الغنائية اللونية، بل تقريباً بُعده اللوني. هنا لا نعثر على النسق اللوني، بل والانسجام والتجاور والتناغم التي نجدها في التأليف التجريدي، بل يمكن القول إنّ لوحة يونس هنا لا تقوم على اللون. ليس اللون هنا هو مبنى اللوحة، بل ونحن نتأمّل اللوحة ونتأمّل بخاصّة الأسود فيها، نفهم كيف أنّ تجريده يتّجه إلى ما لا يؤدّيه اللون، وراء اللون وهذه التجسيمات التي تصدر عنه، ما يمكن وصفه بأنّه تعبيرية مضمرة.

هذه الأحجام المجسّمة المتراصة المتتالية في اللوحة تكاد تنطق بما يتجاوز النسق التجريدي. ثمّة في هذا الشكل المتتابع ما يمكن اعتباره لوناً من حكائية. حين نرى أنّ لوحات المعرض القليلة تكاد تعيد في كلّ لوحة المفردات ذاتها، بل والتحجيم نفسه والنسق ذاته، نفهم أنّ وراء المعرض رسالة واحدة؛ أنّ هذه اللوحات لا تتقارب فحسب، إنْ في الإنشاء أو المبدأ أو الرؤية، لا تتقارب فحسب، بل تصدر عن الموقع ذاته. إنّها في تعدُّدها تتكامل وكأنّها يُتمّم بعضها بعضاً، كأنّها يخرج بعضها من البعض، بل وتروي في مجموعها الحكاية نفسها. يمكننا أن نعتبر هكذا أنّنا أمام نصّ واحد، أو لوحة واحدة، بل نفهم، من ذلك، أنّ المعرض هو هكذا يبني من لوحة واحدة، ويكاد يكون في مجموعه وتعدّده هذه اللوحة الجامعة.

المعرض هنا لا يتبنّى التجريد إلّا ليحيد عنه، وليُنتج هكذا تعبيرية خافية. لكنّ لعبة عمران يونس لا تقف هنا. لعبته ليست في حيرتها فقط بين التعبير والتجريد، بل إنّنا أمام التباس آخر، هو هذه المرّة التباس اللوحة، بما ليست إياه. لا بدّ أنّنا، ونحن نتأمّل الأحجام التي تتوالى في اللوحة، لتبني، في مجموعها وتتبعها شكلاً، ليس بعيداً عن النحت، بل إنّ اللوحة تنحو هكذا إلى أن تكون تخطيطاً نحتياً. تتحوّل إلى أن تكون مشروعاً نحتياً، الشكل الذي تتكوّن منه اللوحة يكاد يكون اسكتشاً أو جملة نحتية. الشكل ليس سوى هذه الجملة، وما يحيط بها ليس سوى فضاء لها. هكذا نجد أنّ للون هنا وجهاً آخر، أفقاً آخر، يخرج عن مبدئه الأوّل ومشروعه الأساسي.

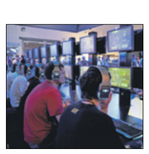

(شاعر وروائي من لبنان)

فعاليات

غزّة عنوان معرض جماعي يُقام حالياً في «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية» ببيروت، بتنظيم مشترك مع **دار النمر** و**المتحف الفلسطيني**. يشارك في المعرض أكثر من أربعين فنّاناً من غزّة وفنّانون آخرون تناولت أعمالهم غزّة بطرق مختلفة؛ من بينهم: **هاني زُعرب**، و**أسامة بعلبكي**، و**بطرس المعرّي**، و**فتحي غبن**، و**ليلى الشوا**، و**أمجد غنام**.

بتنظيم من «مهرجان القدس للسينما العربية»، يُعرض، عند السابعة من مساء بعد غدٍ، في «المعمل» بالقدس المحتلّة، فيلم **بنات عبد الرحمن** (2021) للمُخرج **زيد أبو حمدان**. تدور أحداث الفيلم (112 د) حول أربع أخوات مختلفات تضطرّهن الظروف إلى العودة لمنزل العائلة بعد سنوات لحل لغز اختفاء والدهنّ المفاجئ.

تنطلق، الخميس المُقبل، فعاليات الدورة الأُولى من **أيام جربة للتراث العالمي** في الجزيرة التونسية، وتسمرّ لثلاثة أيام، بتنظيم من **جمعية صيانة جزيرة جربة**. يتضمّن برنامج التظاهرة محاضرات علمية، وورشات عمل في التصوير الفوتوغرافي والتاريخ والتراث المادّي واللامادّي وفنّ العمارة في الجزيرة.

في «3-2-1 متحف قطر الأولمبي والرياضي» بالدوحة، يستمرّ، حتى الثامن من الشهر الجاري، معرض **الرياضات الإلكترونية: نقطة تحوّل**. يضيء المعرض تطوّر الرياضات الإلكترونية منذ أصولها المتخصّصة وصولاً إلى الأحداث الكبرى البارزة، والتحديات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بها، محاولاً استشراف مسارها المستقبلي.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

دنيا الأمل إسماعيل شاعرة

أن تعيش في هدنة مقلقة

ما أطول ليلك يا غزّة؟
بدت الليلة السادسة عشرة من أيام الحرب هادئة جداً بشكلٍ لافتٍ، أصوات الطائرات الثقيلة المرعبة، غابت، على غير عادتها في الأيام السابقة، بدا كلّ شيء ساكناً إلى حد الريبة، حتى صرصور الليل لم يتحفنا بصوته الرتيب في هذه الليلة الغريبة.
سكون تام غلّف الساعات الأخيرة من الليلة السادسة عشرة من الحرب التي نعيش تفاصيلها المريرة والمرعبة. على مدار الدقائق والثواني، نام الجميع، أو استناموا وعيونهم مغمضةٌ على أمل، وقلوبهم عامرة بتسبيحٍ قد ينفعهم في ليالي الموت المحيطة بهم دون أن يفهم أيٌّ منهم ما الذي يحدث ولماذا يحدث وإلى متى سيظل يحدث؟
نام الجميع ولم ينم أحد وكأنّ النوم مدخل للموت المحدق من كل نافذة تحيط بهم. مرّ بعض الليل مشحونا - كما يحدث دائماً- بالخوف والتوتر والقلق من ضربة جوية مباغتة تنقضّ على الأحلام النائمة على وسادات مبعثرة على أرضية المنزل الذي تحوّل إلى ملجأ غير آمن.
ليس هناك ما ينبئ بحدوث قصفٍ إسرائيلي جديد. ليس هناك سوى الصمت المريب، المخيف حقاً. إنها الساعة الواحدة إلّا ثلاث دقائق، جمعينا يضع رأسه على وسادته المصنوعة من أقمشة وملابس مهملة، فيما تجوب عقلي أفكار ليست وردية مؤكداً، هنا في هذه الأجواء المشحونة ما يقتل معنى أن تكون حياً. وجميعنا، رغم ذلك كان لديه أمل أن تنتهي هذه الحرب فجأة، بلا انتظار مرير، بلا حسابات مفرطة في معنى الخسارة والمكسب، دون ألمٍ فاقع أو حزنٍ جديد، يا ليتها تنتهي، يا ليتهم يرحمون صبرنا وصمودنا الهش. كل يوم ننتظر أن نصحو على أصوات الناس تجلجل بأنّ الحرب قد انتهت هكذا فجأة كما بدأت في غفلةٍ من مخططاتنا العقيمة لحياة مفرطة في العادية والأحلام المؤجلة.

■■■

أعرف أنه أمل بعيد، هكذا بدت مشاعرنا تنفد ببطء ورتابة فاقعة. إنه أمل على أية حال قد يُنعشُ بعض الأوهام الصغيرة في قلوبنا المنهكة ويشحن طاقتنا الإنسانية وقدرتها على أن تستمر وتواصل مواجهة الموت المجهول والمعلوم جداً في آنٍ معاً. وكم آمالنا - نحن الفلسطينيين- طويلة جداً ولا تتحقق غالباً، لكننا نتمسك بها كما يتمسك صغير بذيل أمه خوفاً من الضياع.
كلّ شيء في الحرب يمكن حدوثه ولا يمكن أيضاً. تلك هي فانتازيا الحرب، التي خبرناها ولم نألفها رغم تكرارها وتعدد رواياتها وكثرة بيانات الشجب والاستنكار من القريب والغريب.
هنا في غزّة الفقيرة اليتيمة، ما زال النوم يجافي عيون الصغار والكبار، وما زالت الأحلام تزور مناماتهم دون إكراهٍ منهم ولا رغبةٍ عارمة في تغيير العالم. في هذه الغزة العجيبة، كأنها كوكب يدور على الأفلاك فتعطيها من دمها ماءً يرقّق القلوب ويروي عطش المقهورين في هذا العالم القاسي.
غزة العجيبة الغريبة المحاطة بالموت من كل جانب ويأتيها القهر من كل فجٍ عميق، لم تزل على عهد الأولين والآخرين ممن لم يخونوا زهرة حنونٍ صدقت محبتها في عين العاشقين.
ما أطول ليل الحرب، ما أطوّل ليلك يا غزة!

■■■

أخيراً بعد تسعة وأربعين يوماً أعلنت هدنة مؤقتة. إنه اليوم الأول من أيام الهدنة، كان من المفترض أن يكون أول أمس الخميس، صحوتُ في هذا اليوم متأخرة قليلاً عما سبقه من أيام، لكنه كان أيضًا باكراً0
الجميع نيام، حشود بشرية متنوعة محشورة في مساحة مكانية صغيرة جدا، قياسا بالعدد الذي تحتويه0أصوات شخير وأصوات صفير تملأ فضاء المكان، فيما ثلاث أمهات شابات جلسن يرضعن صغارهن الذين صحوا جياعاً كجوعنا ليوم عادي بلا قتال، بلا موت ولا خوف0
كلّ شيء بدا غريباً في صباح الهدنة، غريباً جداً، كأنه عادي جداً، مثل صباحات كثيرة عاشها أناس كثر في هذا العالم المترامي، الذي لا يعرف عن تفاصيل حياتنا البائسة شيئا 0خرجتُ متلصصة إلى خارج المنزل، إلى ممره الحدائقي البسيط أحمل هاتفي النقال لعل الروح تعود إليه بعد سكون طويل، فأشتمّ من خلاله أنفاس أناس أعزاء منعتني الحرب من معرفة مصيرهم0
السماء صافية في صباح استثنائي من شتاء الحرب0عصافير كثيرة تزقزق حول روحي ومشاعري التي تؤلمني من كل ما يحدث وشعوري العاجز عن فعل أبسط الأشياء0 يا له من عالم قاس.
لا قهوة يمكن صنعها، لا غاز طهي، ولا رغبة عاشقة يمكن الاستناد إليها لجعل يوم بلا قتال جميلاً. ماذا عساي أفعل في أول يوم من هدنة مؤقتة بين موتين، بين ألمين، بين موت وحياة. ماذا يمكن أن يفعل الصغار في الهدنة0 وماذا يفعل الكبار الذين لا يقدرون على الحركة والمشي بحرية لا تكفي لاجترار مرارة الحياة بتفاصيلها أو اجترار الموت بجهامة حضوره الطاغي على البلاد.

■■■

تقول مذيعة النشرة الإخبارية إن الهدنة دخلت حيز التنفيذ في تمام السابعة، تقول ذلك بصوت رخيم خال من الألم، مبتهجة نوعا ما، ونحن الذين عشنا حروباً كثيرة ومريرة، لم نعد نعرف كيف نتصرف في هدنة عابرة، توقف الموت لأربعة أيام متتالية، ماذا عسانا نفعل في منحة الحياة المؤقتة، التي أكرمنا بها عدو لئيم في غياب صديق صدوق.
أين ذهبت الطائرات الهادرة، التي تخلع القلوب من الصدور، التي تدوس على أحلامنا البسيطة البائسة وتمنع النوم عن أجفان صغارنا وتبث الخوف في قلوب الأمهات على صغارهن في ملهاة الحياة وتراجيديا الحرب. أين ذهبت الدبابات التي أقلقت جدران البيوت وزجاج النوافذ كأن الريح ماجت في ثنايا سكونها غير المرغوب. إنه صباح الهدنة وليس صباحنا. إنه صباح مرشوق بالوجع والخوف والترقب. هذا ليس صباح بيوتنا وتفاصيلنا اليومية المملة كما كنا نصفها مرّات كثيرة سابقة، ولا هو صباح انشغالنا اليومي والمقلق وراء لقمة العيش المريرة.
إنه صباح صامت، ساكن بلا حراك، بلا مشاعر واضحة المعالم0 صباح لا يخلو من وجع البيوت الشهيدة بناسها وتفاصيلها التي كانت تعج بالحياة يوما ما0 هذا صباح مقلق، لا يخلو من خوف قديم يتجدد من هوس الحرب التي قد تعود في لحظة ما.. في غفلة ما من انتباهة قلب محب.
الهدنة المهادنة لكل ما لا يشبهنا ولا يدل علينا، الهدنة التي تريح الحرب والمحاربين وترهقنا وترهبنا، فلا نعرف أن نأخذ هدنة من مشاعرنا الملتبسة وقلوبنا الموجوعة وقلقنا الدائم0 هل نحن في هدنة الحرب أم دخلنا في حرب الهدنة؟ يا ليت وعينا يسقط من ذاكرتنا المثقلة بالألم والمعاناة، مر العيش في حرب طاحنة لا تعترف بإنسانيتنا. ماذا عسانا نفعل بهدنة تضحك علينا بصوت عال كأننا أطفال يمكن تلهيتهم بلعبة رديئة الصنع يمكن كسرها بسهولة؟
كم هدنة ستمر على دمنا ولا تعطينا وطنا ولا تزرع في سمائنا غيما بدل الطائرات القاتلة؟!

غزة العجيبة الغريبة المحاطة بالموت من كل جانب ويأتيها القهر من كل فج عميق، لم تزل على عهد الأولين

عمر كمال اللوح كاتب

عائد إلى الشمال

الساعة تشير إلى السادسة صباحاً، أستيقظ من النوم وأجلس في الشرفة، أمتّع ناظري بأصوات العصافير، تحضر زوجتي كالمعتاد ونرتشف القهوة معا، ونسترجع ذكرياتنا الجميلة، قبل أن أذهب لأبدل ملابسي لأتوجّه إلى عملي، بينما توقظ زوجتي الأبناء للذهاب إلى المدرسة. وفجأة ودون سابق إنذار، انفجارات تتعالى فنجلس وسط البيت وأحتضن أطفالي، وبعد ساعتين أخرج من البيت وأنا استند إلى الجدران، وأحاول معرفة ما يحدث بلا فائدة. أعود وأستمع إلى الأخبار من المذياع.
- المقاومة تهاجم مستوطنات العدو.
ساعات قليلة وتبدأ الطائرات الحربية الإسرائيلية بقصف عنيف لم يسبق له مثيل.. بقينا في البيت ولم نخرج إلا لشراء بعض الحاجيات الأساسية على عجالة، فالرعب يسيطر علينا.
بقينا على هذه الحال أسبوعا كاملاً، حتى زادت حدة قصف منطقتنا، فغادرت البيت وعلى كتفي أبنائي نركض ونركض ونركض، حتى وصلنا إلى منطقة أخرى والعرق يتساقط من أجسادنا، جلسنا على الرصيف بالعراء !!! ما هو الحل؟ أين أذهب؟ ماذا سيحدث؟ من السبب بالحرب؟ رأسي يكاد ينفجر من التفكير في قادم الأيام؟ بلا ’جابة ظللنا على حالنا وبعد يومين وبصعوبة وجدنا مأوى.

■■■

في غرفةٍ صغيرة بلا نوافذ، بالطابق الأرضي وسط نازحين كثر والحرارة في ارتفاع مستمر، وأصوات القصف براً وبحراً وجواً تشتدّ بلا هوادة ولا رحمة، وكلّ دقيقة تمرّ علينا كأنها عام كامل.
نهضتُ من مكاني أبكي على ما حل بنا وأنا أتأمّل ملامح أطفالي، وقلبي يرتجف خوفاً عليهم، أضرب أخماسًا بأسداس.
لم أعرف ماذا أفعل. كلّ شيء تحوّل إلى سواد.
تقول الزوجة:
- اجلس ما عليك إلا الدعاء.
- إنها حرب مدمرة.
- لا تقلق وما علينا إلا بحسبنا الله ونعم الوكيل.
الساعة تشير إلى السادسة صباحاً، أستيقظ من النوم وأجلس في الشرفة، أمتّع ناظري بأصوات العصافير، تحضر زوجتي كالمعتاد ونرتشف القهوة معا، ونسترجع ذكرياتنا الجميلة، قبل أن أذهب لأبدل ملابسي لأتوجّه إلى عملي، بينما توقظ زوجتي الأبناء للذهاب إلى المدرسة. وفجأة ودون سابق إنذار، انفجارات تتعالى فنجلس وسط البيت وأحتضن أطفالي، وبعد ساعتين أخرج من البيت وأنا استند إلى الجدران، وأحاول معرفة ما يحدث بلا فائدة. أعود وأستمع إلى الأخبار من المذياع.
- المقاومة تهاجم مستوطنات العدو.
ساعات قليلة وتبدأ الطائرات الحربية الإسرائيلية بقصف عنيف لم يسبق له مثيل.. بقينا في البيت ولم نخرج إلا لشراء بعض الحاجيات الأساسية على عجالة، فالرعب يسيطر علينا.
بقينا على هذه الحال أسبوعا كاملاً، حتى زادت حدة قصف منطقتنا، فغادرت البيت وعلى كتفي أبنائي نركض ونركض ونركض، حتى وصلنا إلى منطقة أخرى والعرق يتساقط من أجسادنا، جلسنا على الرصيف بالعراء !!! ما هو الحل؟ أين أذهب؟ ماذا سيحدث؟ من السبب بالحرب؟ رأسي يكاد ينفجر من التفكير في قادم الأيام؟ بلا ’جابة ظللنا على حالنا وبعد يومين وبصعوبة وجدنا مأوى.

■■■

في غرفةٍ صغيرة بلا نوافذ، بالطابق الأرضي وسط نازحين كثر والحرارة في ارتفاع مستمر، وأصوات القصف براً وبحراً وجواً تشتدّ بلا هوادة ولا رحمة، وكلّ دقيقة تمرّ علينا كأنها عام كامل.
نهضتُ من مكاني أبكي على ما حل بنا وأنا أتأمّل ملامح أطفالي، وقلبي يرتجف خوفاً عليهم، أضرب أخماسًا بأسداس.
لم أعرف ماذا أفعل. كلّ شيء تحوّل إلى سواد.
تقول الزوجة:
- اجلس ما عليك إلا الدعاء.
- إنها حرب مدمرة.
- لا تقلق وما علينا إلا بحسبنا الله ونعم الوكيل.
- إنَّهم ثلاثة أبناء وزهرة.. ضاعت أحلامهم، قلبي يعتصر ألماً عليهم، أرجو أن تتوقف الحرب يا رب.
ومع ضوء برتقالي أضاء المكان وانهارت أجزاء كبيرة من المكان وأُصبنا جميعا وبدأت أركض على نصف قدم وأحمل ثلاثة أطفال، وزوجتي تحمل الزهرة الرابعة، والدماء تتناثر من أجسادنا حتى قطعنا مسافة خمسة كيلو متر تقريباً، وجلسنا في مدرسة إيواء اللاجئين في دير البلح وسط قطاع غزّة، في خيمة صغيرة في ساحة المدرسة حتى قال عنه أحد أبنائي
- إنها ساحة مجاعة وأمراض هل يعقل أن نبقى هنا؟!
ردّت الأم بحسرة وألم:
- وماذا عسانا أن نفعل يا بني.

■■■

خمسة حمامات صالحة للاستخدام فقط لنحو عشرة آلاف نازح تستخدمها النساء، بينما الرجال يقضون حاجتهم في أراض زراعية بالليل حتى لا تتكشّف عوراتهم.
شهرٌ كاملٌ حتى تم قصف المدرسة بقذائف المدفعية الثقيلة، وأصيب اثنان من أبنائي بـ.ج.روح بسيطة وهربنا، لننجو بأنفسنا تاركين خلفنا الكثير من المقتنيات والطناجر والملاعق وغالونات المياه التي اشتريتها بأسعار عالية جداً وهي بالأصل مستخدمة، حتى إن البعض قال بأنها كانت تستخدم للدواجن والطيور..
نركض إلى أين؟! لا نعرف حتى وصلنا إلى منطقة معسكر البحر. جلسنا في العراء بصعوبة، حيث الحشرات والقاذورات والكلاب ومياه الصرف الصحي (المجاري)، وصوت الطائرات ينخر في رؤوسنا..
بعد عديد الأمراض التي أصابتنا نزحنا للمرة الرابعة إلى منطقة النصيرات مقابل مكبّ نفايات، فلم نمكث طويلاً هناك حتى غادرنا المكان لشدّة القصف وتقدّم الدبابات، حتى وصلنا إلى بلدة الزوايدة ومكثنا فيها حتى تحوّلت حياتنا إلى جحيم، فنسرع في الصباح الباكر لتوفير المياه، بينما في وقت الظهيرة نتوه في زحمة السوق لشراء بعض الأكل في ظل انعدام الأموال والسيولة.
والناس تائهون ويزدادون فقراً وحاجة وما زلنا نعاني دون أي اهتمام من أحد.
والعالم صامت تماماً صمت القبور ونحن في انتظار المجهول.

■■■

أخيرًا.. أعلن جيش الاحتلال الإسرائيلي انسحاب قواته من داخل مدينة غزّة إلى أطرافها، بعد ما يقارب خمسة أشهر.
غادرنا الخيمة الصغيرة في أحد مراكز الإيواء في الزوايدة، بعد أن سمعنا هتافا من الناس بأن الطريق مفتوحة، وأن الاحتلال انسحب جزئياً من خط البحر، ركضتُ مسرعًا نحو بيتي في غزّة جرياً على الأقدام في ظلّ ارتفاع درجات الحرارة، والحمد الله، تمكنّا مع مجموعة كبيرةٍ من الناس من المرور من شارع البحر باتجاه غزّة نحو بيتي.
نعم نجحت في ذلك. وأنا أتأمل كلّ شيء حولي، كان يغشاني الهمّ والكدر من رأسي حتى أخمص قدمي، قلبي يرتجف خوفاً، عقلي مشتتٌ، جسدي هزيلٌ، لكني أواصل السير في شوارع غزة، فجأة اختلّ توازني، وسقطت في حفرة عميقة، عدتُ ألملم نفسي، لكني مازالت فاقداً القدرة على الاستمرار، من هول ما شاهدت.
مبانٍ تتساقط، أصوات وصراخ الأطفال والنساء لا يهدأ، جثث وأشلاء الشهداء تتناثر، وقذائف المدافع كرشقات المطر تتدفق، أسند ظهري على بقايا حجارة متناثر في الطريق والرعب يشل أركاني.

■■■

ظللت أسير بلا هدى، وفي كلّ خطوة أتأمل مدينتي الشاحبة بطرقاتها وأحيائها الكئيبة، عمّ الدمار بيوتها، وتغلغلت الدّماء في ترابها.. لم يتبقَ منها شيء، طُمس جمالها، وماتت الحياة في نفوس سكانها.
استقرّ بي المطاف فوق أنقاض منزلي الجميل، وجنتاه مبللتان بدموعي المنهمرة، مازلت أنظر والحسرة تملأ قلبي إلى بقايا حديقتي وبصوت ملتاع خافت يهمس لروحه:
- آآآه يا الله، ما ذنب الأشجار المثمرة لتصبح كتلة من السواد؟! اجتثوا جذورها وحرمونا من طيب ثمارها.
آآآه حتى بقرتنا اللطيفة التي كانت ترونا كل صباح من حليبها فينعش عقولنا ويشحذ تفكيرنا، أضحت أثراً بعد عين، كم اشتقت لصياح الديك الذي يوقظنا لأداء صلاة الفجر، فلن أنسى منقاره الذي كان يداعبني كلما وضعت له الطعام، فمن سيوقظنا بعد اليوم؟!
أمسكتُ بأغصان شجرة البرتقال التي كانت تمثّل بالنسبة لي شيئاً كبيراً، فعلى مدار سنوات طويلة أجلس تحتها أتناول كوباً من حنين الماضي.. أستنشق هواء الأمل.. أمتع ناظري بعناق الثمار.. ينبعث أكسجين السعادة من أحشائي، يباغتني صقر فيقف على كتفي، يشاركني خلوتي وأنا أقرأ دون ملل. انتهي من كتاب.. أذهب وأحضر الآخر وأنا بكامل رشاقتي، فكلّ مرة أذهب إلى عالمٍ جديد؛ لكن قلبي يميل إلى تاريخ المسيري، وفكر مصطفى محمود، وجماليات عباس محمود العقاد وأشعار المتنبي.. فيعمّ المساء لتنتهي رحلتي مع كتاب، وأتهيأ للبدء بآخر! فمن سيعيد لي تلك اللحظات الجميلة؟
أستلقي على ظهري، أحاول مسح دموعي المنهمرة؛ أتأمل صفاء السماء، ولمعان النجوم؛ فلربما يهدأ قلبي المتعب من هذا الحرب اللعينة والمدمرة، وتملؤه سكينة وطمأنينة، ويستيقظ الحنين لكل ما فقدته، ويشرق الأمل في روحي الحيرى وسط هذا الضجيج من الألم الذي احتل كلّ الأمكنة.

■■■

أنتبه على عويل أمّ ثكلى تمر بجواري وتنادي على ابنها..، وتتعثر بين الركام المتبعثر في كل مكان. تابعتها بقلق، فرأيتها تعانق بدلة بيضاء، والدموع تنهمر من عينيها بغزارة تكاد تفتك وتمزق كل قلب في المدينة الحزينة. علمتُ في ما بعد بقصة أم خالد التي تبكي ابنها، فقد صادف أمس موعد زفافه آملة بأن يستجيب لها، ويخرج من قبره، فقد سقط شهيداً في الحرب.

عمل للفنانة الفلسطينية نبيلة حلمي

ينبعث أكسجين السعادة من أحشائي، يباغتني صقر فيقف على كتفي، يشاركني خلوتي وأنا أقرأ دون ملل